الاسطوري والبناء الملحمي . انني أشارك ناظم حكمت الرأي بأن نشيد الاناشيد هو اعظم كتاب حب في تاريخ الشعر ... »(٤٤). وقد استطاع محمود درويش في مزاميره ان يتخطى الصلاة للمعشوق الى نوع من الاتحاد معه ، فصارت الارض جزءا من كيانه، ودما يمده بالحياة ، فيقول :

اريدك ، او لا اريدك —
ان خرير الجداول . ان حفيف الصنوبر
ان هدير البحار . وريش البلابل محترق في دمي — ذات
يوم اراك ، واذهب(٤٥).

هنا تتجسد قضية الشاعر في نزوحه عن وطنه : هل كان نزوحه هروبا ؟ لا . لان الوطن لم يعد صورة منفصلة عن ذات الشاعر ، بل اصبح حقيقة داخلية تسكن دماءه ، فوصل الى اتحاد صوفي مع الوطن المعشوق . ويصبح العشق قدرا لا يقـدر الشاعر على الهروب منه ؛ وهو يتمنى ان يهرب لكن قدره يلاحقه أينما ذهب . ويتجسد قدر الشاعر وحشا رهيبا يسعى الى خنقه بعد ان افترس أصدقاءه ، ولا يجدي الشاعر هروب من الوطن المعشوق ، لان الحدود التي ظن انه سيبتعد عنها برحيله ، تعدو وراءه ، يقول :

هارب من الحدود التي افترست اصدقائي
والحدود تعود ورائي
الحدود تقترب تقترب
وتلامس حلقي(٤٦).

ويصطدم الشاعر بمأساة الواقع ، حيث تصبح كل مذبحة صورة لمأساة الوطن ، وتتكرر المذابح والمآسي ، فلا يعود هناك جديد يتوقع ، فيفقد الشاعر دهشته امام صور الدماء المتكررة ، وتضيع الطفولة منه ، لان الدهشة من سمات الطفولة التي ترى الاشياء عذراء . ويتجمد الشاعر حجرا بضياع دهشته ، فتصبح الطفولة الضائعة معادلة للحياة التي رحلت . ويتحول الوطن بابتعاد الشاعر عنه حلما مساويا للحقيقة في صدقه، ان لم يكن اكثر صدقا . ولعل الشاعر هرب من فساد الواقع الى الحلم حيث تتبدى الحقائق اكثر جمالا ، وكأنه بهذا يعيد خلق الواقع في عالم ما فوق الواقع ؛ يقول :

ويا أيها الوطن المتكرر في الاغاني والمذابح
كيف تتحول الى حلم وتسرق الدهشة
لتتركني حجرا
لعلك اجمل في صيرورتك حلما
لعلك اجمل(٤٧).

وتضيع هوية الشاعر باغترابه عن وطنه ، فيحاول ان يجسد شكلا صورة مرسومة في لاوعيه للوطن ، وكأنه بهذا يجد الانتماء الذي يحدد شخصيته . ولكن الشاعر يعيش صراعا مع القدر ، فتخطف قوة لا يعيها يده ، ويقف ضائعا لا يعرف هويته ولا مبدأ انتمائه ، يقول :

اريد ان ارسم شكلك
فتخطف السماء يدي
اريد ان ارسم شكلك
ايها الماحصر بين الريح والخنجر
اريد أن ارسم شكلك
كي أجد شكلي فيك(٤٨).